الفصل الثالث

فى ذكر عمل المريد فى اليوم والليلة من فرائض الأوامر وفضائل النوادب

فمن ذلك يستحب عند طُلوع الفجرِ؛ وهو البياضُ المشتقّ من سواد الليل المُعترض فى قُطْر السّماء الشرقى، عند إدبار النجوم. وإدْبارُها: افتراقها وذَهابُ ضوئها لغلبة ضوء الفجر عليها. وهو الوقتُ الذى أمر اللهُ تعالى فيه بذكره إذ يقول تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩]. فَليصلِّ العبد ركعتَى الفجر، يقرأ فيهما: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فهو أكثر ما رُوى أنَّ النبىّ ﷺ قرأ فيهما؛ فإن شاء خَافَت وإن شاءَ جَهَر.

فقد رُوى حديثان، أحدُهما يدلّ على المخافتة؛ وهو حديث عائشة رضى الله عنها[1] قالت: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يخفِّفُ ركعتى الفجرِ، حتى أقول قرأ فيهما بفاتحة الكتاب أم لا».

والآخر: يدل على الجَهْر، وهو حديثُ ابن عمرَ: «رمقتُ النبىَّ ﷺ عشرين يومًا، فسمعته يقرأ فى ركعتى الفجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾»[2].

وفى حديث أبى هريرة وابن عباس، أنه قرأ ﷺ فى الركعة الأولى الآية التى فى سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ﴾ [البقرة:١٣٦] إلى آخرها، وفى الركعة الثانية: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٣].

---

(١) المسند ٦/ ٢٠٤، والحلية ٦/ ٣٣٧.

(٢) الكامل لابن عدى ٧/ ٢٦٤٨ بلفظ: «خمسًا وعشرين صباحًا».

فليقرأ بذلك أحيانًا. ثم يستغفر اللهَ تعالى سبعينَ مرّة؛ يقول فى كلّ مرّة: أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذى لا إله إلا هو الحىَّ القيومَ، وأسأله التوبةَ[1].

ثم يسبِّحُ اللهَ ويهلِّله، مائة مرة، بالكلمات الأربع الجامعات المختصرات التى فى القرآن، وليست بقرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وأستغفرُ الله، وتباركَ اللهُ، مرة واحدة. وَلْيَدْعُ بهذا الدعاءِ، فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يدعو به بعد ركعتى الفجر.

روينا عن ابن أبى ليلى، عن داود بن على، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: بعثنى العباسُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فأتيته ممسيًا وهو فى بيت خالتى ميمونة، فقام يصلّى من الليل، فلمَّا صلّى الركعتين قبل صلاة الفجر قال:

«اللّهم إنى أسألكَ رحمةً من عندك تَهدى بها قلبى، وتَجْمعُ بها شَمْلى، وتَلُمُّ بها شَعْثى، وتردُّ بها أُلفَتى، وتُصلح بها علانيتى، وتَقْضى بها دَيْنى، وتحفظُ بها غائبى، وترفعُ بها شاهدى، وتُزكّى بها عملى، وتُبيِّضُ بها وجهى، وتُلقِّنى بها رُشْدى، وتَعْصمنى بها من كل سوء.

اللّهم أعطنى إيمانًا صادقًا، ويقينًا ليس بعده كفر، ورحمةً أنال بها شرفَ كرامتك فى الدنيا والآخرة.

اللّهم إنى أسألك الفوز عند القضاء، ومنازلَ الشهداء، وعيشَ السُّعداء، ومرافقةَ الأنبياء، والنصرَ على الأعداء.

اللهم إنى أُنزل بك حاجتى، وإن قَصُر رأيى، وضَعُف عملى، وافتقرتُ إلى رحمتك. فأسألك يا قاضىَ الأمورِ، ويا شافى الصدور، كما تُجير بين البحور، أن تجيرنى من عذابِ السّعير، ومن دعوةِ الثُّبور، ومن فتنةِ القبور.

اللهم ما قصُر عنه رأيى، وضعُف عنه عملى، ولم تبلغْه نيَّتى وأمنيتى، من

(١) وردت هذه الصيغة فى سنن الترمذى بلفظ: «وأتوب إليه»، انظر: صحيح سنن الترمذى، للألبانى، رقم ٢٨٣١ جـ١ ص١٨٢.

خيرٍ وعدتَه أحدًا من خلقك، أو خيرٍ أنت معطيه أحدًا من عبادك، فإنّى أرغبُ إليك فيه، وأسألكه يا ربَّ العالمين.

اللهم اجعلنا هادينَ مهْديين، غير ضالّين ولا مضلّين، حربًا لأعدائك، وسِلْمًا لأوليائك، نحب بحبّك الناس، ونعادى بعداوتك مَنْ خالفك مِنْ خلقك.

اللهم هذا الدعاءُ وعليك الإجابة، وهذا الجَهْدُ وعليك التّكلان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد.

أسألك الأَمْنَ يومَ الوعيدِ، والجنةَ يومَ الخلودِ، مع المقرَّبين الشهودِ، والركّعِ السجود، والموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، أنت تفعل ما تريد.

سبحانَ الذى تعطَّف بالعزّ وقال به. سبحان الذى لبس المجدَ وتكرَّم به. سبحان الذى لا ينبغى التسبيحُ إلاّ له. سبحان ذى الفضل والنِّعَم. سبحان ذى القدرة والكرم. سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه.

اللهم اجعل لى نورًا فى قلبى، ونورًا فى قبرى، ونورًا فى سمعى، ونورًا فى بصرى، ونورًا فى شَعْرى، ونورًا فى بَشَرى، ونورًا فى لحمى، ونورًا فى دمى، ونورًا فى عظامى، ونورًا من بين يدى، ونورًا من خلفى، ونورًا عن يمينى، ونورًا عن شمالى، ونورًا من فوقى، ونورًا من تحتى. اللهم زدنى نورًا، وأعطنى نورًا، واجعل لى نورًا»[1].

هذه الأنوارُ التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فى كلّ

---

(١) هذه الرواية وردت فى الأسماء والصفات، للبيهقى، ١/ ١٦١ ـ ١٦٣، ووردت أيضًا فى المعجم الكبير للطبرانى ٣٤٣/١٠، والحلية ٢٠٩/٣، والإحياء ٣١٤/١، والإتحاف ٦٥/٥، وذكر الزَّبيدى رواياته المختلفة، وشرحه شرحًا جيدًا، من ذلك: «قال القاضى: معنى طلب النور للأعضاء: أن تتحلى بأنوار المعرفة والطاعة، وتعرى عن ظلم الجهالة والمعاصى، وطلب الهداية للنهج القويم. وقال غيره: اجعلنى نورًا، أى: اجعلنى هدى يهتدى به كل من رآنى» الإتحاف ٦٥/٥.

وقيل فى معنى الأنوار: أراد ضِياءَ الحقّ وبيانَه، كأنه قال: اللهمَّ استعمل هذه الأعضاء منى فى الحقّ، واجعل تصرُّفى وتقلُّبى فيها على سبيل الصواب والخير. (عن اللسان: نور).

جزء من أجزائه، إنما هو دوامُ النظرِ من نور النور، يشاهد القيوميةَ فى كل سكونٍ وحركة منه، يكلؤه بنظره، ويتولاه بحيطته، فينظر إليه بدوام نظره؛ ليستقيم له بتولّى حفظه، فلا يزيغ بصره ولا يطغى، ولا تستهويه النفس بهوى.

فليدع العبدُ بهذا الدعاء بعد ركعتى الفجر، لكن يقدّم على دعائه المسألةَ لله تبارك وتعالى فى الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فيستجيب سبحانه وتعالى دعوته ولا يردّه، لقول الرسول ﷺ: «إذا سألتم الله تعالى حاجةً، فابدؤوا بالصّلاة علىّ، فإنّ الله تعالى أكرم من أن يُسأل فى حاجتين فيُعطىَ إحداهما ويردَّ الأخرى»[١].

ثم ليُصلِّ العبدُ صلاةَ الغداةِ فى جماعةٍ، ليكون فى ذمةِ اللهِ وجوارِه.

وفى الحديث: «صلاة الغداة فى جماعة أفضل من قيام ليلة، وصلاة العشاء الآخرة فى جماعة أفضل من قيام نصف ليلة»[٢].

وليكن قائمًا فى صلاته بإلقاء سَمْعٍ، وشهودِ قلبٍ، وحضوْرِ عقلٍ، وجَمْعِ هَمٍّ، وصحةِ تيقُّظٍ، وحُسْنِ إقبالٍ، وتَدبُّرٍ للكلام[٣]، وترتيلٍ وتفهُّمٍ بالتماس غرائبِ التنزيل.

فإذا سلّم من صلاته قال ما يُستحب من الذّكر[٤].

❊ ❊ ❊

(١) قال العراقى فى المغنى ١/٣٠٧: «لم أجده مرفوعًا، وإنما هو موقوف على أبى الدرداء».

(٢) المعجم الصغير، للطبرانى، ١/٢٦٧، وتاريخ بغداد ١٢/٤٣٩.

(٣) فى نسخة (ك): «وتدبّر الكلام فى ترتيل وفهم».

(٤) بعده فى (ك): «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير».